والثالث : ما أخرج مخرجَ الهزل والخلاعة كقول الشاعر :

أسْكرُ بِالأمْسِ إنْ عَزَمْتُ عَلى الشُّرْبِ غَدًا إنَّ ذا مِنَ العَجَبِ [1]

ويروي ابن رشيق عن بعض النقاد تبريراً فنيا عاما لقبول المبالغة ، حيث يرون أن الشاعر إذا أتى من الغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم ، فإنما يريد به المثل ، وبلوغ الغاية في النعت ، واحتجوا بقول النابغة وقد سئل : من أشعر الناس ؟ فقال : من استجيد كذبه وأضحك رديئه [2].

وتكاد تكون مثالية الدلالة منطلقًا لمقولة (الكلام العربي الأصيل) الذي لا مجال لاتهامه أو تجريحه ، ويقصد بذلك النشأة البدوية وتأثيرها على طبيعة المتكلم في اختيار اللفظ وسَبْكه مع غيره ، ثم الدلالة الناتجة من هذا السبك . ويبدو أن هذه المقولة قد اهتزّت في بعض الأحيان حتى وجدنا رجلاً كابن سنان يقول : إنه لا فارق – في عصره – بين التعبير البَدَوي والتعبير الحَضَري ، بل إن أهل البدو – عنده – محتاجون إلى اقتباس اللغة من الحضر ، وإصلاح المنطق بأهل المدَر [3] .

وقد كان التمييز بين الأصيل والمحدث مرتبطًا إلى حدٍّ كبير بطبيعة البداوة والحضارة ، وكان للنقاد في ذلك مواقفُ تعتمد على ما في الصياغة من خواص تمثلهما . فقد روى الأصمعي أن خلفا الأحمر قبَّل بين عيني بشار بمحضر أبي عمرو بن العلاء حين استنشداه قصيدته الرائية :

بكرا صاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجيرِ إنَّ ذاكَ النَّجاحَ في التَّبْكيرِ

حيث قال خلف لبشار بعدما أنشده القصيدة : لو قلت ، يا أبا معاذ ،

---

(١) القزويني : الإيضاح ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ . (٢) ابن رشيق : العمدة ، ج ٢ ، ص ٥٠ .
(٣) ابن سنان : سر الفصاحة ، ص ٤٧ .